ابتكارات إسلامية في الطب

ترجمها الغربيون وانتحلوها لأنفسهم

د . حبيب عز الدين

في الوقت الذي بدأ فيه التألق الأغريقي في الأفول في ميادين العلوم المختلفة ، حتى كادت حضارتهم أن تطمس وتنحدر ، وجدت الحضارة العربية الإسلامية ، تلك القوة الخلاقة الدافعة التي تناولت المشعل الذي كاد ينقضي وتخبو ناره ، فأشعلها العرب من جديد ، وخطا رواده نحو غايات جديدة " واسلموه بدورهم إلى أوروبا ، وهو في أوج اشتعاله ، وفي قمة نوره " [1] .

إن ما ينبغي ملاحظته أن العلماء اللاتين قد أخذوا الكثير من علوم المسلمين ، ولقد اتسم هذا الأخذ بصفة الانتحال ، وقد بين هذا عدد من العلماء المتخصصين في بحوث كثيرة " إذ أظهروا كيف انتحل العلماء الاثينيون لأنفسهم بحوثاً أخذوها من كتب العلماء العرب المسلمين ، أو انتحلوا كتباً كاملة إلى لغتهم زاعمين أنها من إبداعهم وتأليفهم ، كما أنهم نقلوا كتباً عربية أخرى ، ثم زعموا أنها لمشاهير الأغريق ، مثل ارسطوطاليس وجالينوس ورونس وسواهم " [2] ، بل إن العديد ممن قاموا بترجمة الابتكارات العربية تعمدوا عدم ذكر المؤلف الأصلي لها ، أو ربما حرفوا اسمه في لغتهم حتى بات من العسير التوصل إلى معرفة الاسم الصحيح . وفي هذه الورقات سأوضح نماذج من ترجمة وانتحال الكتب والأفكار الطبية العربية ، أو الادعاء بأن من قاموا بهذا هم أصحاب السبق في الوصول إليها .

أولاً : ترجمات الكتب العربية :

إذا أردنا الوصول إلى ألمع الشخصيات الأوروبية التي اضطلعت بترجمة الكتب العربية إلى اللغات اللاتينية والعربية فإننا سنطالع بادي ذي بدأ اسم (جيرار دي كرمونا) الذي ترجم ما يربو عن ثمانين مخطوطة عربية في الطب إلى اللغة اللاتينية في مقدمتها كتاب المجسطي لبطليموس الذي ترجمه من العربية إلى اللاتينية ، ولم تمض فترة طويلة حتى أصبح من أعظم وأشهر مترجمي العربية وأكثرهم انتاجاً ، وفتح بترجماته تلك أبواب كنوز الثقافة العربية أمام الأوروبيين ، وأصبح مثلاً لأتباعه ، ساروا على نهجه ، واحتذوا حذوه ، فكان الأب الحقيقي للاستعراب في أوروبا ، كذلك (رايموند لولى) الذي اطلع على الحضارة العربية الإسلامية قبل مجيئه إلى مونبلييه ،

1 - جلال مظهر ، حضارة الإسلام وأثرها في الترقي في العالم ، ص 486 .
2 - فؤاد سزكين : محاضرات في تاريخ العلوم ، (فرانكفورت ، معهد لعلوم العربية والإسلامية ، 1989) ، ص 37 .

ولعل الاسم الذي لعب دوراً بارزاً هو الطبيب الشهير (غي دو شولاك) صاحب كتاب (الجراحة الكبرى) الذي ظل يدرس في جامعات أوروبا حتى القرن 12 هـ / 18 م ، "وفي هذا المؤلف يحس القاري بالأثر العربي الإسلامي الواضح ، فبين كل صفحة وأخرى لا بد وأن يذكر اسم طبيب عربي ، ولعل الاسم الأكثر تداولاً في هذا الكتاب اسم الجراح العربي (أبوالقاسم الزهراوي) الذي ذُكر أكثر من مائتي مرة " [1] .

نظراً للمكانة الرفيعة التي حظي بها كتاب الحاوي في الطب لمؤلفه الطبيب العربي أبوبكر الرازي كان في طليعة ما ترجم من كتب اللغة العربية إلى اللاتينية ، وكان صاحب السبق في هذا الطبيب اليهودي (فرج بن سالم) في مدينة صقلية ، وقد منحه عنواناً مغايراً لعنوانه الأصلي ، ولقد ذاعت شهرة الكتاب ومؤلفه في أنحاء أوروبا خلال العصور الوسطى ، فلقد أشاد به المؤرخ الشهير (ول ديورانت) صاحب كتاب (قصة الحضارة) حيث ذكر أن كتاب الحاوي " أحد الكتب التسعة التي تتكون منها مكتبة الكلية الطبية في جامعة باريس " [2] .

تبوأ كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) للزهراوي مكانته الرفيعة بين سائر الكتب العربية التي ترجمت إلى عدة لغات ، حتى أن المستشرق (ماكس مايرهون) ذكر بأنه الأساس الذي بنيت عليه الجراحة في أوروبا ، فلقد ترجم الكتاب وطبع أكثر من مرة ، وفي أزمنة مختلفة ، حيث وجدت له ترجمات باللغات العبرية والكاثولوثية واللاتينية ، كما ترجم أيضاً إلى اللغة البروفانسالية ، وما تزال تلك الترجمة محفوظة في مكتبة جامعة مونبلييه بفرنسا ، ومما يدل على اهتمام الأوروبين بالزهراوي ، واعترفهم بفضله في تقدم الطب أنهم وضعوا صورته في كنيسة ميلانو الكبرى هو والرازي وابن سينا ، حيث رسمت على الزجاج القديم " [3] .

لقد حظي كتاب القانون في الطب لابن سينا بذات المكانة التي حظيت بها مؤلفات الزهراوي والرازي والمجوسي وابن زهر ، وربما فاقها في بعض النواحي ، خاصة إذا عرفنا أنه " قد اشتمل على آخر ما وصل إليه التفكير الطبي العربي المنظم"[4] ، وأن هذا الكتاب قد استمد شهرته بما امتاز به من تنظيم وحسن السبك ، والإحاطة بكل ما يحتاج إليه الأطباء ، ترجمه إلى اللغة اللاتينية (جيرا ر دي كرمونا) في مدينة طليطلة ، فحظيت تلك الترجمة باهتمام

1 - علي حسين الشطشاط : تاريخ الجراحة في الطب العربي ، مجلد 2 (بنغازي ، منشورات جامعة قاريونس ، 1989) ص 795 .
2 - ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، المجلد الرابع ، جـ 13 (القاهرة 1964) ص 191 .
3 - محمد العربي الخطابي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية جـ 1 (بيروت ، دار المغرب الإسلامي 1988) ص 119/118
4 - الشطشاط : تاريخ الجراحة ، ص 813 .

وشهرة واسعة ، خاصة وأنه تضمن صوراً ورسومات توضيحية " تشهد بذلك المخطوطات الباقية إلى الوقت الحاضر ، والتي يرجع تاريخها إلى القرن السابع الهجري / الثالث عشر ميلادي " [1] .

ثانياً : انتحال كتب الطب العربية الإسلامية :

كثيراً ما تجرأ المترجمون على انتحال نصوص عربية ، ونسبوها لأنفسهم، أو إحداث تغيير في تلك النصوص تغييراً منكراً ، وأبرز مثال لهذا علاقة العالم العربي (ابن الجزار القيرواني) بالمترجم (قسطنطين الأفريقي) الذي ترجم من مؤلفاته : زاد المسافر وقوت الحاضر ، الاعتماد في الأدوية المفردة ، المعدة وأمراضها ومداواتها ، مقالة في الجذام ، حيث انتحلها جميعها ، ونسبها إلى نفسه " ثم أن السطو على نظريات طبية إسلامية لم يكن غريباً مستنكراً ، وفي الإمكان أن نستدل على ذلك مطمئنين مما أخذه (ميخائيل سرفاى) في شرح القانون لابن النفيس في الدورة الدموية الصغرى ، فقد أخذ سرفاى بنظرية ابن النفيس ، ونقلها حرفياً في كتابه " .

لقد ترجم قسطنطين الأفريقي كتاب (زاد المسافر وقوت الحاضر) في إيطاليا بعنوان (VIATICUM) ، وعمد إلى إخفاء سوء عمله هذا أن تلخيص نص الكتاب في مواضع كثيرة من عمله ، ولقد كان لذلك الانتحال أثر سيء لأن النص اللاثيني للكتاب بقي لسنوات طويلة منسوباً في التأليف لقسطنطين ، " ومن النماذج الأخرى التي توضح الدور الخسيس الذي قام به نقله لكتاب الاعتماد في الأدوية المفردة إلى اللغتين اللاثينية والعبرية ، حيث أنه انتحله وادعاه لنفسه ، مثل عمله في سائر كتب ابن الجزار الأخرى " [2] .

أيضاً ، ترجم قسطنطين كتاب (كامل الصناعة الطبية) لعلي بن العباس المجوسي وانتحله لنفسه ، وقام بتدريسه في مدرسة سالرنو الطبية ، فطار ذكره في معظم أنحاء أوربا ، ولقب من أجله بلقب (النابغة المجدد) " ولقد استمر ذلك إلى أن ترجم (اسطافان الأنطاكي) كتاب المجوسي فكشف عن حقيقة قسطنطين الأفريقي الحجاب ، واتضح أنه انتحل خيرة كتب الطب العربية " [3] .

إن ظاهرة انتحال واقتباس العلوم العربية امتدت إلى عهد روجيه باكون (1210-1290) الذي اقتبس جميع ما نسب إليه من نتائج علمية من الكتب العربية المترجمة إلى اللاثينية " ولقد ظهر

1 - غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، (القاهرة 1956) ص 591 .
2 - محمد سويسي ، الراضي الجازي : زاد المسافر وقوت الحاضر لابن الجزار (طرابلس ، الدار العربية للكتاب – تونس) 1986 ، ص 20 .
3 - الشطشاط : تاريخ الجراحة ، مجلد 1 ، ص 148 .

(رايموند لولوس) الذي توفي سنة 1315 بعد أن بذل حياته وجهده في مقاومة كل شيء عربي ، وألف عدداً كثيراً من الكتب ، ثبت أخيراً أن معظمها مؤلفات عربية " [1] .

أجيال متتابعة من الأطباء والصيادلة والجراحين استفادت من كتاب الزهراوي (التصريف) في ترجمته اللاتينية " ويكفي أن نذكر من هؤلاء الجراح الفرنسي (غي دو شولباك) الذي اقتبس كثيراً من المعلومات من التصريف وذلك في كتابه (الجراحة الكبرى) " [2] .

ثالثاً : شواهد على أسبقية علماء الإسلام :

إن من يمعن النظر في الآثار العظيمة التي خلفها أطباء الإسلام سوف تتملكه الدهشة حين وقوفه ليس لكونها لا تحتوي على نظريات أصيلة فحسب ، وإنما سيجد فيها ابتكارات توصلوا إليها ، وسبقوا بها غيرهم ممن عمد إلى ترجمتها ، وإحداث بعض التحويرات فيها ، ومنهم من انتحلها لنفسه ، مدعياً أنها من ابتكاره ، وفي هذا السياق سأورد نماذج فقط مما توصل إليه علماء الطب الإسلامي منذ زمنهم القديم ، ولا تزال بل وستظل شواهد لهم على أسبقيتهم وعبقريتهم ، وأن ما توصل إليه علم الطب الحديث من نظريات فإنه قد استمد أصوله منهم ، وإن كانت " دون شك " قد تم تطويرها وفقاً لمتطلبات عصرنا ، من ذلك :

* أن الأطباء العرب المسلمون هم أول من وصف بعض الأمراض المعدية وصفاً دقيقاً ، وهم أول من فرق بين أنواع الالتهابات ، وعرف الجدري والحصبة وفرق بينهما ، وهم أيضاً أول من فرق بين المغص المعدي والمغص الكلوي ، " وعرف الأطباء العرب الجمرة الخبيثة وأطلقوا عليها اسم النار الفارسية " [3] .

* الطبيب ابن النفيس هو أول من كشف عن وجود أوعية داخل عضلة القلب لتغذيها ، وأنه " أول من وصف الشرايين التاجية ، وهذا دليل على ممارسته لعلم التشريح "[4]

* أبان الطبيب علي بن العباس أن الورم الحادث للشريان أو الوريد إنما ذلك بسبب ثقب في الشريان ، وشقه دون أن يكون قد حدث جرح أو هتك في الجلد ، وحذر من عواقب التعرض له عند حدوثه بعلاج جراحي ، تجنباً لاندفاع الدم بقوة لأن في ذلك هلاك للمريض " ولقد شدد على

1 - سزكين : محاضرات ، ص 34 .
2 - الخطابي : الطب والأطباء ، مجلد 2 ، ص 118 .
3 - الشطشاط : تاريخ الجراحة ، مجلد 1 ، ص 114 .
4 - بول غولنجي : قطوف من تاريخ الطب (القاهرة ، دار المعارف 1986) ص 260 .

ضرورة معالجته بالشق عليه ، وتعريته مما به من مسام ، ومن بعد تعليق الشريان بصنارة وإخاطة طرفيه وتنشيف الدم " [1] .

وبهذا يكون أطباء الإسلام قد سبقوا (جون هنتر) 1728-1739 الذي اشتهر بربط الأوعية الدموية في حالات التمدد الوعائي ، واعتبر ذلك تقدم جراحي في القرن الثامن عشر ، وبداية حقيقية لانطلاق الجراحة في القرن التاسع عشر[2].

* تمكن ابن سينا من تحقيق سبق في عالم الطب بوصفه لأعراض المثانة السريري وصفاً قريباً لما عليه الطب الحديث ، مخالفاً بذلك للعديد من التعاليم اليونانية في الطب ، حيث فرق بين شلل الوجه الناجم عن سبب داخلي في الدماغ وسبب خارجي ، وفرق بين داء الجنب وألم الأعصاب ، ووصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم ، كما استطاع تشخيص داء الانكلستوما أثناء حديثه عن الديدان المعوية ، وهو أول من وصف الشرايين التاجية ، وكشف عن وجود أوعية داخل عضلة القلب لتغذيتها . [3]

* وهم عدد من الأطباء القدماء حين قولهم بوجود منفذ بين البطينين الأيمن والأيسر في القلب ، ووجود شيء مشابه للغضروف عند أصله ، إلا أن الطبيب بن النفيس قد أدرك عدم وجود أي منفذ بين البطينين " ولقد نسب هذا الاستنتاج العلمي إلى مايكل سرفيتو (ت 1553) أي بعد أكثر من قرنين من وفاة ابن النفيس " [4] .

* توصل الطبيب عبدالملك بن زهر إلى وصف الجرب والصؤاب المسبب له ، حيث قال " أنه يحدث في ظاهر البدن شيء يعرفه الناس بالصؤاب ، وهو حكةتكون في الجلد ، ويخرج = إذا قشر الجلد = من مواضع منه حيوان صغير جداً يكاد يفوت الحس " [5] ، وإذا كان الاختلاف قد حدث حول معرفة صاحب السبق في اكتشافه ، فإننا نجد من مطالعة معجم (دورلاند) الطبيب الأمريكي (1965) وكذلك دائرة المعارف البريطانية وجود الاتفاق بينهما في أن ابن زهر هو الرائد في ذلك .

1 - علي بن العباس المجوسي : كامل الصناعة الطبية ، مجلد 2 ، (القاهرة ، مطبعة بولاق 1294 هـ) ، ص 462 .
2 - أحمد مختار منصور : دراسة وتعليق على كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، مجلة علم المخطوطات العربية ، مجلد26 جـ 2 (1982) ص 488
3 - د. توفيق الطويل : لقطات علمية ، مجلة عالم الفكر ، مجلد 2 ، جـ1 ، ص 247 .
4 - محمد العربي الخطابي : الطب و الأطباء ، جـ1 ، ص 333 .
5 - عبدالملك بن زهر : كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، تحقيق ميشيل الخوري ، ط 1 ، (بيروت ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1983) ، ص 364 .

* أطباء الإسلام هم أول من أوصى بفتح القصبة الهوائية ، والتغذية الصناعية أما عن طريق المريء أو عن طريق المستقيم في حالة شلل المريء " وأن المكتشف لهذا هو عبدالملك بن زهر " [1] .

* لقد أجرى الزهراوي أول عملية جراحية على الغدة الدرقية ، قبل أن يحدث تقدم حقيقي في هذا النوع من الجراحة على يد (هالفسد) الذي اعترف بفضل الزهراوي ، وهذا العمل أبطل قول الجراح الأمريكي صامول كورس (1266) بعدم إمكانية ذلك اعتقاداً منه بأنه سبقاً علمياً ، دون أن يدري بأن الطب الإسلامي قال بإمكانية ذلك " وأن الزهراوي قد فرق بين ما يكون منه طبيعياً وما يكون عرضياً ، وصف كيفية إجراء تلك العملية ، وما ينبغي على الطبيب الاحتراز منه أثناء عمله .

* يدين علم الطب لعبدالملك بن زهر قيامه بأول تشخيص سريري للجلد الخام والالتهابات الناشفة والانسكابية لكيس القلب ، " وقد فرقها عن أمراض الرئة ، واكتشاف الحقنة الشرجية ، والغذاء الصناعي لمختلف حالات شلل عضلات المعدة، ووصف كامل لسرطان المعدة " [2] .

* طور أطباء الإسلام عدة أنواع من الأمراض النسائية " وأدخل الزهراوي طرقاً جديدة في فن المداواة وبآلات لم تكن معروفة من قبل بعد أن كان على يد الإغريق في مستوى غير لائق ، كما أوجد لمسات جديدة للولادة في حالات سقوط يد أو ركبة الجنين، أو وضعه المسمى بوضع الأرجل (تقدم الأرجل من باب الرحم على الرأس) أو الوضع الوجهي " وهو أول من عالج الوضع الأخير ، وأول من أوصى بولادة الحوض ، وعلم القيام بعمليات في المهبل وآلة توسيع فم الرحم " [3] .

* الرازي أول من فرّق بين الحصبة والجدري حيث قال " لا يكون في الحصبة من وجع الظهر ما يكون من الجدري ، ولا في الجدري ما يكون من الكرب والغش في الحصبة " [4] .

* الدليل على براعة الأطباء العرب في التشخيص أنهم كانوا يرون " أنه ليس من الضروري إعطاء دواء واحد لمن يضيق بنفس الداء ؛ لأنهم علقوا أهميته على معرفة الأمراض التي سبق

1 - سزكين : محاضرات ، جـ1 ، ص 44 .
2 - خليل بلز : بغداد ودورها في تفوق العرب على الينوان في منجزات الطب ، مجلة المورد ، مجلد 8 ، عدد 4 ، (بغداد 1979) ص 320
3 - خليل باز : بغداد و دورها ، ص 321 .
4 - كامل محمود : تاريخ العلوم عند العرب ، ط 1 (بيروت، دار الفكر اللبناني 1990) ، ص 40 .

أن أصيب بها المريض ، إلى جانب العوامل المناخية للبيئة التي يعيش فيها ، وهم بذلك سبقوا بقرون عديدة الطبيب الفرنسي (ترسو) الذي قال ليس هناك أمراض وإنما هناك مرضى " . [1]

* الرازي أول من استعمل خيط الشعر في العمليات الجراحية ، ومن بعده استعمل الجراحون شعر النساء في خياطة وتقطيب الجروح وذلك لقربه بيولوجياً من الأنسجة المراد خياطتها " . [2]

* لقد تطرق ابن سيناء إلى طب العيون في العديد من كتبه ، تحدث عن صفة تدبير المولود منذ ولادته حتى نهوضه ، فأوصى بأن " يغسل جسم الوليد بالماء والملح، ووضع قطرات زيت في عينيه " وقد سبق في هذه الطريقة التي أوجدها كريديه عام 1882م حين أوصى بوضع نيترات الفضة في عين الطفل عند الولادة " . [3]

* لقد استعمل ابن سينا الأدوية الناجعة في علاج الجروح من قبيل اللزوقات الساخنة مع الخمرة المتعفنة " وهذا اكتشاف علمي هائل اكتشفه ثانية الأستاذ لوسكاليري من مدينة بوردو 1929م وأثبت أن الخمرة المتعفنة لها تأثير كالبنسلين " . [4]

* في كتابه (المنتخب في علاج أمراض العين) أورد عمار الموصلي " ست طرق لإجراء عملية مرض الساد كانت إحداها طريقة المص بدلاً من قدح الماء أي دفعها نحو الداخل ، نحو الغرفة الخلفية من العين ، وهذه الطريقة تتبع حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية مستندة إلى آلات دقيقة ومتطورة تحدث ذبذبات سريعة جداً ومحققة نجاحاً باهراً " [5]

* لقد ساد الاعتقاد بأن العين المجردة ترسل أشعة إلى الأشياء التي تريد رؤيتها منذ عهد أقليدس وبطليموس حتى جاء العالم المسلم الحسن بن الهيثم الذي أعلن " خطأ هذا الادعاء حين قال " ليس هناك من أشعة تنطلق من العين لتحقق النظر ، بل إن الأشياء المرئية هي التي تعكس الأشعة على العين فتبصرها هذه الأخيرة بواسطة عدستها " . [6]

---

1 - المرجع السابق ، ص 42 .
2 - محمد بن اسلم الغافقي : المرشد في طب العين . تحقيق حسن علي حسن (بيروت ، معهد الإنماء العربي 1987) ص 42 .
3 - المرجع السابق ، ص 23 .
4 - زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ط 4 ، تحقيق فاروق بيضون وكمال دسوقي (بيروت، دار الآفاق الجديدة 1983) ص 280 .
5 - محمود الحاج قاسم ، : طب العيون عند العرب ، مجلة المورد ، مجلد 4 ، عدد 2 (1973) ص ص 53/52 .
6 - المرجع السابق ، ص 30 .

* إلى جانب هذا اهتم ابن الهيثم بتأثير التقاء الأشعة الضوئية وتكبير أحجام الأشياء المرئية بواسطة زجاجة مكبرة ، " ويقال إن الحسن بن الهيثم هو أول من استعمل نظارات القراءة " . [1]

* أحمد بن يونس الحراني هو أول طبيب عربي أجرى عملية الماء المعروف بالساد (الكاتاراكتا) بواسطة إبرة مجوفة ، وإذا كان البعض قد ذهب إلى القول بأن أول من استعمل هذه الإبرة هو الطبيب المسلم عبدالملك بن زهر فإنه في الإمكان الرد على هذا بأن ابن زهر جاء بعد الحراني بحوالي 250 عاماً ، وكيفما كان الأمر فإن السبق في هذا كان لطبيب عربي مسلم " . [2]

* إن ما يعطي أهمية كبيرة لجراحة الزهراوي وإبراز خصوصيتها شيئان لا ينازعه فيهما أحد ، فهو أول من أدخل علم تشريح الأعضاء في فن الطب الجراحي داعياً كل من يمارس الجراحة في الجسم الحي إلى أن يكون ملماً وعارفاً بتركيب الأعضاء " وأنه أول من أدخل في مؤلفاته رسوم آلات الجراحة التي يستعملها " . [3]

* في كتابه كامل الصناعة الطبية تناول ابن عباس المجوسي في معرض حديثه عن جراحة التشوهات الخلقية والجراحة التجميلية المشكلة التي يعاني منها من يولدون وثقب كمرتهم إلى خلف موضعها المعتاد ، وأوضح أن ذلك يحول دون إنجابهم معللاً ذلك بأن منيهم لا يمر في الرحم إلى استقامته بل على جانب ويسيل سيلاناً . " وأنهم في سبيل ذلك يحتاجون إلى إجراء عملية جراحية لهم تقضي بقطع الكمرة كلها من وضع الإصليل من جميع جوانبها بحيث يبقى في الوسط جسم شبيه بالكمرة"، وأن ما ذكره المجوسي في هذا الخصوص يختلف مع إجراء العملية حديثاً حيث تعمل الآلة بثقب الكمرة الأولى ويعمل ثقب آخر في مقدمتها ، وبالرغم من ذلك فإن هذه المحاولة التي ذكرها قد يكون لها الأثر الحسن في مجال الإنجاب ". [4]

* لقد اتهم الطبيب الفرنسي لوسيان لوكليرك الأطباء العرب بانتحال أعمال غيرهم ونسبتها إلى أنفسهم ، أو أنهم ينقلون منها دون إشارة إلى مؤلفيها ، وفي هذا السياق نسوق دليلاً على ما قاله في حق الطبيب المسلم الزهراوي بأنه من عادة العرب إدماج ما يأخذونه عن الغير في مؤلفاتهم إذا كان المأخوذ عنه رجلاً ذا شهرة عظيمة مثل أبقراط أوجالينوس إلا أننا نجده قد ناقض نفسه حين قال " إن الزهراوي جراح عظيم ، وأنه كثيراً ما يأتي بملاحظات مستمدة من تجربته ولا سيما في الفصل المتعلق بإخراج السهام الناشبة في الجسم ، وأنه قد وضع في بداية كتابه

1 - المرجع السابق ، ص 30 .
2 - المرجع السابق ، ص 30 .
3 - المرجع السابق ، ص 29 .
4 - الشطشاط : تاريخ الجراحة جـ1 . ص 151 .

التصريف بمعرفة علم التشريح كأساس لعلم الجراحة وذكر أن الجهل به قد يؤدي إلى نتائج وخيمة " .[1]

* إن إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة فتح علمي كبير أدعى لتحقيقه لأول مرة الجراح الفرنسي أمبروزو ماري 1552م في وقت كان فيه الطبيب المسلم أبو القاسم الزهراوي قد توصل إلى ذلك وعلمه لطلابه قبل 600 عام ، كما علمهم كيفية إخاطة الجروح بشكل داخلي لا يترك شيئاً مرئياً عنها ، وكيفية الإخاطة بإبرتين وخط واحد مثبت بهما ، واستعمل الخيطان المستمدة من أمعاء القطط في جراحته".[2]

* حاز أطباء الإسلام قصب السبق في مجال علم التشريح الذي يبلغ عندهم درجة التفوق في زمن كان الأوروبيون يرون فيه أنه امتهاناً للجسم الذي خلقه الله فإذا كانت أول عملية جراحية أجريت في باريس 1494م بعد وفاة ابن النفيس بزهاء مائة عام وفي مونبلييه 1551م وفي بازل 1582م وفي بولونيا 1637م " ولم تنشأ نواة علم التشريح الوصفي إلا أواخر القرن الخامس عشر الميلادي بإذن البابا سكنستوس الرابع، ولم تنشأ درجات التشريح في أوروبا إلا في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاديين " .[3]

* في الوقت الذي بلغ فيع علم الجراحة قمته عند العرب كان مختصراً في أوروبا وينظر فيه إلى من يزاولونه كأناس أنجاس ، وكانت مهنته محتقرة يتولاها الحلاقون والجزارون ، وأن مدارس الطب في أوروبا تتحاشى تعليم الجراحة طوال الفترة من القرن 11 : 15 لكون نظريتهم لهذا العلم بعدم لياقته بالأطباء المحترمين ، وفي هذا أصدر مجلس ثورس البابوي 1136م قراراً يلزم المدارس الطبية بإهمال تعليم الجراحة، وكل هذا يحدث في أوروبا في وقت كان فيه الأطباء المسلمون يولون العلم كل اهتمامهم ويضعونه في المقام الرفيع " .[4]

* العالم الإغريقي جالينوس في حديثه عن الفك السفلي للإنسان ذكر أنه مؤلف من قطعتين من العظم يجمع بينهما تدوير ، وعلى هذا سار الأطباء الأوروبيون ، إلا أن الطبيب المسلم عبداللطيف البغدادي قد دحض هذا الرأي بعد أن فحص آلاف العظام والأرجل فحصاً دقيقاً فوقف على أن للفك عظمة واحدة دون أي تدوير ، وأن الظهر مؤلف أيضاً من قطعة واحدة من العظم

1 - المرجع السابق ، جـ 1 ، ص 181 .
2 - هونكه : شمس العرب . ص 278 .
3 - الشطشاط : تاريخ الطب . جـ 1 . ص 393 . توفيق الطويل ، العرب والعلم .
4 - الشطشاط : تاريخ الطب . جـ 1 . ص 412 . أيضاً أمين أسعد خيرالله : الطب العربي .

وليس من ستة كما قال ذلك جالينوس وأكده المستشرق زيغريد هونكه " إن البراهين التي تقدمها الخواص أصدق بكثير وأكثر إقناعاً من البراهين المستندة إلى بعض أساطين العلم " . [1]

* إذا كان من أسباب شهرة الجراح الفرنسي أبروز ماري (1510-1590) هو استخدامه لعملية ربط الأوعية الدموية لإيقاف النزيف بدلاً عن الكي إلا في حالات البتر ، فإن أطباء الإسلام قالوا ذلك قبله بعدة قرون ، وأبانوا عن دراستهم العميقة لفسيولوجيا الشرايين لأن القطع الجزئي يستمر معه النزيف ، أما القطع الكامل فقد يقف معه النزيف تلقائياً " . [2]

* ولقد أفصح الزهراوي عن كل هذا بقوله : " أعلم أن الشريان إذا نزف منه الدم فإنه لا يستطاع قطعه لا سيما إذا كان الشريان عظيماً إلا بأحد أربعة أوجه ، أما بالكي وإما بجرده إذا لم يكن قد انجرد ، فإنه إذا بتر قطعت طرفاه وانقطع الدم ، وإما أن يربط بالخيوط ربطاً دقيقاً ، وإما أن توضع عليه الأدوية التي من شأنها قطع الدم والشد بالرفائد شداً محكماً ، وإما أن يحاول قطعه برباط أو يشد بالخرق ، أو وضع الأشياء المحروقة ونحو ذلك فإنه لا يستطيع بذلك البتة إلا في الندرة " . [3]

1 - هونكه : شمس العرب ص 290 .
2 - منصور أحمد مختار: دراسة في كتاب التصريف للزهراوي ، مجلة معهد المخطوطات العربية . مجلد 26 . جـ 2 . (1982) ص 483 .
3 - الزهراوي أبو القاسم: التصريف لمن عجز عن التأليف ، مخطوط مكتبة بشير آغا ، أسطنبول ورقة رقم 502 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :-

1. ابن زهر ، زهر بن عبدالملك : جامع أسرار الطب – خزانة علال الفاسي ، مخطوط 235 . الرباط .

2. ابن زهر ، عبدالملك : كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، الخزانة العامة الرباط ، مخطوط 768

3. الزهراوي ، أبوالقاسم خلف : التصريف لمن عجز عن التأليف ، مكتبة بشير آغا ، أسطنبول مخطوط 502 .

4. الغافقي ، محمد ابن أسلم : المرشد في طب العين ، دير الأسكوريال مدريد ، مخطوط 835 .

5. الكحال ، علي بن عيسى : تذكرة الكمالين ، دار الكتب القومية القاهرة ، مخطوط 499 .

ثانياً : المصادر :-

1. ابن رشد ، محمد : كتاب الكليات في الطب ، تحقيق سعيد شعبان ، عمار الطالبي ، (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1989) .

2. ابن زهر ، عبدالملك : كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، تحقيق ميشال الخوري (بيروت ، المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة 1983) .

3. ابن سينا ، الحسن : القانون في الطب ، تعريب علي زيحور ، (بيروت مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر 1993) .

4. ابن سينا ، الحسن : دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية بتدارك أنواع خطأ التدبير ، تحقيق محمد زهير الباب (حلب ، معهد التراث العلمي العربي 1984) .

5. ابن قرة ، ثابت : البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها ، تحقيق محمد ظافر الوفائي ، محمد قلعجي (الرياض، شركة العبيكان 1991) .

6. البغدادي ، مهدب الدين : كتاب المختصرات في الطب (حيدر أباد الدكن ، دار المعارف العثمانية ، 1362 هـ) .

7. ديورانت ، ول : قصة الحضارة : ترجمة محمد بدران ، مجلد 4 ، جـ 13 . (القاهرة : 1964) .

8. العبادي ، حنين بن إسحاق : كتاب العشر مقالات في العين ، تحقيق ماكس مايرهوف (القاهرة ، المطبعة الأميرية 1928) .

9. الغافقي ، محمد ابن أسلم : المرشد في طب العين ، تحقيق حسن علي حسن (بيروت ، معهد الإنماء العربي 1987) .

10. المجوسي ، علي بن العباس : كامل الصناعة الطبية (الكتاب الملكي) مجلد 2 (القاهرة ، مطبعة بولاق 1244 هـ) .

11. الموصلي ، عمار بن علي ، تذكرة الكحالين ، تحقيق عون القادري (حيدر أباد الركن ، دار المعارف العثمانية ،1954) .

ثالثاً : المراجع :-

1. ابن مراد ، إبراهيم : بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب (بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1987) .

2. خيرالله ، أمين أسعد : الطب العرب . (بيروت 1986) .

3. الخطابي ، محمد العربي : الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية . جـ1 (بيروت ، دار الغرب الإسلامي 1988) .

4. سزكين ، فؤاد : محاضرات في تاريخ العلوم (فرانكفورت ، معهد العلوم العربية الإسلامية 1989) .

5. سويسي محمد ، الراضي الجازي : زاد المسافر وقوت الحاضر لابن الجزار (تونس ، الدار العربية للكتاب 1986) .

6. الشطشاط ، علي حسين : تاريخ الجراحة في الطب العربي ، مجلد 2 (بنغازي ، منشورات جامعة قاريونس 1989) .

7. غولنجي ، بول : قطوف من تاريخ الطب . (القاهرة دار المعارف 1986) .

8. قاسم ، محمود الحاج : الطب عند العرب المسلمين (تاريخ وهمسات) (الرياض الدار السعودية للنشر والتوزيع 1987) .

9. محمود ، كامل : تاريخ العلوم عند العرب ، ط 1 (بيروت ، دار الفكر اللبناني 1990) .

10. هونكة ، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فارق بيضون ، كمال دسوقي (بيروت ، دار الآفاق الجديدة 1983) .

رابعاً : الدوريات : -

1. باقر ، خليل : بغداد ودورها في تفوق العرب على اليونان في منجزات الطب ، مجلة المورد ، مجلد 8 عدد 9 (بغداد 1979) .

2. الطويل ، توفيق : لقطات علمية من تاريخ الطب العربي ، مجلة عالم الفكر ، مجلد2 (1982) .

3. قاسم ، محمود الحاج : طب العيون عند العرب ، مجلة المورد ، مجلد 4 عدد 2 (بيروت : 1975)

4. منصور ، أحمد مختار : دراسة وتعليق على كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد 6 . عدد 2 (1982) .